

بلاغة الاختزال: تحولات الخطاب اللغوي العربي في زمن التسارع الرقمي

The Rhetoric of Compression: Transformations of Arabic Discourse in the Age of Digital Acceleration

د. سعاد وطنية¹¹ جامعة زيان عاشور الجلفة، (الجزائر)، souadouati3@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2026/07/29

تاريخ المراجعة: 2026/08/24

تاريخ النشر: 2026/10/15

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى مساءلة مفهوم «التسارع» بوصفه مقولةً نقديةً ومنهجيةً، لا مجرد وصفٍ سوسيولوجيٍّ لإيقاع العيش المعاصر، وذلك من زاوية أثره في بنية الخطاب اللغوي العربي وفي شروط إنتاجه وتلقيه داخل الفضاء الرقمي. وينهض على فرضية مؤداها أن الاختزال الذي يسم الكتابة الشاشية ليس انحرافاً طارئاً عن معيار لغويٍّ مستقر، بل هو صيغةٌ حديثةٌ من صيغ الاقتصاد اللغوي الذي نظّر له التفكير البلاغي العربي القديم تحت مسميات الإيجاز والحذف وحسن الاختصار، غير أن ما تبدّل هو الحاملُ وشرطُ الزمن ومصدرُ القرينة، لا مبدأ الكثافة ذاته. وقد اعتمدت الدراسة مقارنةً وصفيةً تحليليةً ذات نزوعٍ مقارن، تُقابل بين جهاز الإيجاز في التراث البلاغي (الجاحظ، العسكري، السكاكي، الجرجاني، ابن جني) وبين آليات الضغط الدلالي في التداول الرقمي (الوسم، الأيقونة، النصّ المترابط، التعليق الفوري)، مستعينةً بمكتسبات لسانيات الخطاب ولسانيات الإنترنت وبأطروحات تحوّل الوسائط من الشفاهية إلى الكتابية إلى الشفاهية الثانية. وخلص البحث إلى أن التسارع يُنتج خطاباً «مقتضباً البنية، مُتضخّماً السياق»، تنتقل فيه وظيفة التأويل من داخل النصّ إلى محيطه التداولي، فتغدو دلالاته مؤقتةً الصلاحية بزوال قرينتها؛ وإلى أن الحاجة قائمةٌ إلى بلاغةٍ رقميةٍ عربيةٍ تُعيد استثمار مفاهيم التراث لا بوصفها متحفًا للمصطلحات، بل بوصفها عدّةً إجرائيةً قادرةً على وصف ما يجري.

الكلمات المفتاحية: التسارع، الاختزال، الخطاب الرقمي، البلاغة العربية، لسانيات الإنترنت، التلقي الفوري.

* المؤلف المراسل: د. سعاد وطنية.

Abstract :

*This paper interrogates acceleration as a critical and methodological category rather than a mere sociological description of the tempo of contemporary life, examining its bearing upon the structure of Arabic discourse and upon the conditions of its production and reception within digital space. It proceeds from the hypothesis that the compression characterising screen-based writing is not an accidental deviation from a stable linguistic norm, but a modern instance of the principle of linguistic economy long theorised in classical Arabic rhetoric under the headings of *ijaz* (concision), *hadhf* (ellipsis) and *felicitous abridgement*;*

what has changed is the medium, the temporal condition and the source of the interpretive clue, not the principle of density itself. Adopting a descriptive-analytical and comparative approach, the study sets the apparatus of concision in the classical tradition (al-Jahiz, al-Askari, al-Sakkaki, al-Jurjani, Ibn Jinni) against the mechanisms of semantic compression in digital usage (the hashtag, the emoji, hypertext, instantaneous commentary), drawing on discourse linguistics, internet linguistics, and theories of medial transition from orality to literacy to secondary orality. It concludes that acceleration generates a discourse that is structurally curtailed yet contextually inflated, in which the interpretive burden migrates from the text to its pragmatic surroundings, so that meaning remains valid only for the lifespan of its context; and that there is a pressing need for an Arabic digital rhetoric which reactivates the conceptual legacy of the tradition not as a museum of terms but as an operative toolkit adequate to what is actually taking place.

Key words: acceleration; compression; digital discourse; Arabic rhetoric; internet linguistics; instantaneous reception.

تقديم:

ليس التسارع حدثًا طارئًا على الثقافة الإنسانية؛ فقد عرفت المجتمعات في كل عصرٍ طفراتٍ في وسائل النقل والتدوين والاتصال أعادت ترتيب علاقتها بالزمن. غير أن ما يميز لحظتنا الراهنة أن التسارع انتقل من كونه أثرًا من آثار التقنية إلى كونه شرطًا من شروط المعنى. فالسرعة، حين تصير إطارًا تُقاس به قيمة القول وجدواه، لا تكتفي بأن تُقصر المسافة بين المرسل والمتلقي، بل تُعيد تعريف ما يستحق أن يُقال أصلًا، وما يمكن الاستغناء عنه، وما يجوز إضماره اتكالا على قرينة خارج النص. وهنا بالضبط تبدأ المسألة لغويةً ونقديةً، لا تقنيةً محضة.

وقد جرت العادة في كثيرٍ من الكتابات العربية أن تُقارب لغة الفضاء الرقمي مقارنةً معياريةً تشكو «الفساد» و«الركاكة» و«انحسار الفصحى». وهي مقارنة وإن صدرت عن غير مشروعة على اللسان، تُخطئ موضع السؤال: إذ تُحاكم ظاهرةً تواصليةً جديدةً بمعايير جنسٍ كتابيٍّ قديمٍ لم تُوضع له، وتُقيم الحكم قبل الوصف، والتقويم قبل التحليل، والأجدي منهجيًا أن نسأل: أي منطقٍ لغويٍّ يحكم هذا الاختزال؟ وهل هو قطيعةٌ مع التقليد البلاغي العربي، أم امتدادٌ مشوّهٌ له، أم صيغةٌ ثالثةٌ تستدعي جهازًا مفهوميًا جديدًا؟

من هنا تنهض إشكالية هذا البحث: كيف يُعيد التسارع الرقمي تشكيل بنية الخطاب العربي على مستويات الاقتصاد اللغوي والتداول والتلقي؟ وإلى أي مدى تُسعف مفاهيم الإيجاز والحذف والكثافة في التراث البلاغي العربي في وصف هذه التحولات وصفًا إجرائيًا لا انطباعيًا؟ وما حدود هذا الإسعاف؟

ونتوسّل لذلك منهجًا وصفيًا تحليليًا ذا نزوعٍ مقارن، يجمع بين قراءة في المتن البلاغي العربي وقراءة في

مكتسبات لسانيات الخطاب ولسانيات الإنترنت، على أنّ الغاية ليست عقدَ مماثلةٍ متكلفةٍ بين القديم والجديد — وهي آفةٌ كثيرٌ من الدراسات التي تكتفي بأن تجد للمصطلح الغربي سلفاً عربياً — بل اختبارُ صلاحيةِ العُدّة المفهومية التراثية أمام موضوعٍ لم تعرفه، وتحديدُ ما تصلح له وما تعجز عنه.

1. التسارع مقولةً نقديةً لا وصفاً اجتماعياً

يقتضي البدءُ تحريرَ المفهوم. فالتسارع في أدبيات النظرية الاجتماعية المعاصرة ليس مرادفاً للسرعة؛ السرعةُ كمّ، والتسارعُ نسبةٌ تغيّر ذلك الكمّ. وقد ميّز هارتموت روزا بين ثلاثة مستويات متضافرة: تسارعٌ تقنيٌّ يخصّ وسائل النقل والاتصال والمعالجة، وتسارعٌ في التغيّر الاجتماعي يخصّ تقادّم المعارف والقيم والعلاقات، وتسارعٌ في إيقاع الحياة يتجلّى في تكثيف الأفعال في وحدة الزمن.¹ ومفارقةُ هذه المستويات أنّها لا تُنتج فائضاً من الوقت كما وعدت الحداثةُ التقنية، بل تُنتج ندرةً فيه؛ إذ يبتلع التسارعُ ما يُوقّره، فيصير الوقتُ المُحرّرَ مادةً أوليةً لتسارعٍ جديد.

وكان بول فيريليو قد سبق إلى جعل السرعة مقولةً تحليليةً قائمة الذات حينها، أي أنّ التاريخ لا يُقرأ فقط بمنطق الثروة أو الطبقة، بل بمنطق «الدروميّة» أي علم السرعة، وأنّ ما يتسارع لا يُدرك إلّا بوصفه اختفاءً.² ولئن كان تحليله مشدوداً إلى السياسة والحرب والعمران، فإنّ نقله إلى حقل اللغة يُثمر ملحوظةً دقيقة: كلّما ازدادت سرعةُ التداول، تقلّصت مساحةُ التآني التي يستلزمها التأويل، وانتقل الخطابُ من اقتصاد المعنى إلى اقتصاد الانتباه.

وعلى هذا فإنّ التعامل مع التسارع بوصفه مقولةً نقديةً يعني ثلاثة إجراءات: أن نجعله متغيّراً في تحليل بنية النصّ لا خلفيةً له؛ وأن نقيس أثره في مستويات اللسان كلّها — الصوتي والصرفي والتركيب والتداولي — لا في المعجم وحده كما يفعل أكثرُ الدارسين؛ وأن ندرك أنّه يُعيد توزيع القيمة الجمالية نفسها، فيرفع من شأن ما كان هامشياً كالنكتة والوسم والتعليق، ويُنزل ما كان مركزياً كالمطوّلات والشروح والقراءة البطيئة.

2. تحوّل الحامل من الشفاهية إلى الكتابة الشاشية:

لا يفهم تسارعُ الخطاب بمعزلٍ عن تحوّل حامله. وقد بيّن والترج. أونج أنّ الانتقال من الثقافة الشفاهية إلى الثقافة الكتابية لم يكن تغييراً في أداة التسجيل فحسب، بل «إعادة هيكلةٍ للوعي» ذاته؛ فالشفاهية تُنتج فكراً صغيغاً تراكمياً مُشبعاً بالمكرّرات لأنّ الذاكرة مخزّنه الوحيد، بينما تُتيح الكتابةُ تحليلاً وتجريداً وتراتباً لا تحتملها المشافهة. ثم افترض أونج «شفاهيةً ثانية» تولّدها الوسائط الإلكترونية، تجمع بين فورية الشفاهي وثبات المكتوب.³ والكتابةُ الرقمية اليوم تُجسّد هذه الشفاهية الثانية في أوضح صورها: نصٌّ مكتوبٌ بالعين والإصبع، لكنّه يعمل بمنطق المشافهة من حيث المجاورة الزمنية بين القول وردّه، وحضور الجسد رمزياً عبر

الأيقونات، وغلبة الوظيفة الانتباهية على الوظيفة المرجعية. ولعلّ ما ذهب إليه مارشال ماكلوهان من أنّ «الوسيلة هي الرسالة» يجد هنا تحقّقه الأوضح؛ فالمنصّة لا تنقل الخطاب نقلاً محايداً، بل تفرض عليه سقفاً كمّياً وإيقاعاً وشكلاً، بل تُملّي عليه جنسه الأدبي.⁴

وقد نبّه نبيل علي في تحليله المبكّر لعلاقة الثقافة العربية بعصر المعلومات إلى أنّ التقنية لا تدخل الثقافة من باب الأدوات بل من باب البنى، وأنّ التحدي الحقيقي أمام العربية ليس في مواكبة المصطلح، بل في إعادة تأهيل بنيتها المعرفية لتشتغل داخل بيئة رقمية لم تُصمّم على مقاسها.⁵ وهي ملاحظة ظلت، على مضيّ العقود، أصدق ممّا كُتب بعدها بكثير، ويضاف إلى ذلك ما أحدثه النصّ المترابط من تفكيكٍ لخطبة القراءة؛ فقد بين سعيد يقطين أنّ الترابط النصّي ينقل القارئ من موقع المتلقّي المتتبّع لمسارٍ مرسومٍ سلقاً إلى موقع المبحر الذي يصنع مساره بنفسه، ممّا يجعل النصّ بنيةً احتماليةً لا بنيةً مغلقة.⁶ وإذا اجتمع هذا الانفتاح البنيوي إلى ضغط الزمن، نتج عنه قارئ لا يقرأ نصّاً واحداً حتى نهايته، بل يقتطف من عشرات النصوص شذراتٍ يركّبها في سياقٍ من صنعه.

3. الاختزال بين الإيجاز التراثي والضغط الرقمي:

من السهل أن يُقال إنّ الاختزال الرقمي فقرٌ لغويّ. ومن الأصعب، والأجدي، أن يُسأل: أيّ نوعٍ من الاقتصاد اللغوي هو؟

لقد أقام التفكيكُ البلاغيّ العربيّ نظريةً دقيقةً في الإيجاز، لا بوصفه قصراً في اللفظ، بل بوصفه علاقةً محسوبةً بين اللفظ والمعنى وبين المقام والمقال. يقول الجاحظ في تحديدٍ صار قاعداً: «وأحسنُ الكلام ما كان قليلاً يُغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه»، فيربط جودة البيان بمطابقة المقام لا بكثرة القول.⁷ وفصل أبو هلال العسكري القول في الإيجاز والإطناب فجعلهما مقاميين لا معياريين، إذ لكلّ مقامٍ ما يناسبه، وليس أحدهما فضيلةً في ذاته.⁸ وبلغ هذا تصوّر ذروته المنهجية عند السكاكي حين جعل «مقتضى الحال» مدارَ البلاغة كلّها، فأخرج القول من سلطة المعيار الثابت إلى سلطة الموقف المتغيّر.⁹

أمّا عبد القاهر الجرجاني فقد نقل المسألة من ميدان اللفظ إلى ميدان النظم، حين بيّن أنّ الحذف بابٌ «دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيهٌ بالسحر»، وأنك «ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة».¹⁰ وهذا نصٌّ مؤسّس؛ لأنّه يجعل الفراغ في البنية عنصراً دالاً، ويُحيل التأويل على قرينةٍ يقتسمها المتكلّم والسامع. وفي المنحى نفسه أدرج ابن جني الحذف ضمن ما سمّاه «شجاعة العربية»، وهي تسميةٌ بالغة الدلالة، إذ تجعل الإضمار اقتداراً لا عجزاً، وتفترض في اللسان طاقةً على تحمّل النقص من غير أن ينهار المعنى.¹¹ وهنا موضعُ المقارنة الدقيق. فالحذف البلاغي القديم كان مقدّراً داخل النظام اللغوي،

تُرشد إليه قرائنٌ لفظيةٌ ومقاميةٌ، ويُستعاد المحذوفُ ذهنيًا وفق قواعد يعرفها أهلُ اللسان؛ أمّا الضغط الرقمي فهو مُحالٌ على قرينةٍ سياقيةٍ خارج-لسانيةٍ متغيرةٍ: صورةٌ مرفقة، خيطٌ تعليقاتٍ سابق، وسمٌ يُحيل على حدثٍ جماعيٍّ، معرفةٌ مشتركةٌ بين جماعةٍ افتراضيةٍ عابرة. فالالاقتصاد في الحالين واحدٌ من حيث المبدأ، مختلفٌ من حيث مصدر القرينة: من داخل النظام إلى خارجه، ومن قرينةٍ مستقرّةٍ يحفظها اللسان إلى قرينةٍ زائلةٍ بزوال لحظتها.

ويتربّب على ذلك أثرٌ نقديٌّ بالغ: نصٌّ رقميٌّ مقتطعٌ من سياقه يفقد قابليته للتأويل فقدانًا يكاد يكون تامًا، بخلاف البيت الشعري القديم الذي يحمل شرطَ فهمه في نظمه، فيظلّ قابلاً للقراءة بعد قرون. وهذه، في تقديرنا، أدقُّ ما يميّز بلاغةَ الاختزال الرقمية: أنّها بلاغةٌ مؤقتةٌ الصلاحية، تُنتج معنًى كثيفًا في لحظتها، هشًّا خارجها. وهو ما يطرح على الأرشفة والدراسات الرقمية سؤالًا عمليًا: كيف يُحفظ خطابٌ لا يعيش إلّا بسياقه؟

4. مظاهر تحوّل البنية في الخطاب العربي الرقمي:

يمكن رصدُ التحوّل في مستوياتٍ متضافرة، لا بوصفها أعراضَ اعتلال، بل بوصفها ملامحَ نظامٍ تواصلٍ ناشئ:

1. المستوى التركيبي: تراجعُ الجملة المركّبة ذات الوصل والفصل لصالحِ جُمليّ قصيرةٍ متجاوزةٍ بلا روابط، وشيوعُ الحذف في المسند والمُسند إليه، وانتشارُ ما يمكن تسميته «التركيب الشذري» الذي يقوم على المجاورة لا على الإسناد. وقد نبّه تمام حسان إلى أنّ فهم العربية إنّما يقوم على «تضافر القرائن» لفظيةً ومعنويةً وحاليةً، وأنّ اختلال قرينةٍ يُعوّضُ بأخرى¹² وهو مبدأٌ يُفسّر كيف يظلّ الخطابُ الرقميُّ مفهومًا رغم اختلال قرائنه اللفظية: لأنّ القرينة الحالية — الصورة والوسم وخيطُ التعليق — نهضت بالعبء. فالمسألة إذن ليست غياب النحو، بل انتقالٌ ثقل الإسناد من الصيغة إلى السياق.

2. المستوى المعجمي: توليدٌ سريعٌ للمصطلح والتعبير، وقصرُ عمره، وتداخلُ المستويات اللغوية في الملفوظ الواحد. وقد وصف ديفيد كريستال ما سمّاه «لغة الشبكة» بأنّها ليست لغةً ثالثةً بين المنطوق والمكتوب فحسب، بل نمطٌ يجمع خصائص لم تجتمع من قبل في وسيطٍ واحد.¹³ وأهمُّ ما في ملاحظته، منهجيًا، أنّها ترفض قراءة الظاهرة بوصفها انحطاطًا، وتقرأها بوصفها توسيعًا للمرونة التعبيرية.

3. المستوى الخطّي والإملائي: ظهورُ أنماطٍ كتابيةٍ هجينة، من إسقاط الهمزات والتنوين إلى الكتابة بالحرف اللاتيني والأرقام (ما يُعرف بالعريزي)، وهي ظاهرةٌ لا تُفهم بردها إلى الجهل وحده، بل إلى اقتصادٍ في الجهد وإلى وظيفةٍ هُويّةٍ تمييزيةٍ داخل الجماعات الافتراضية.

4. المستوى التداولي: انتقالٌ مركز الثقل من المحتوى إلى فعل الكلام؛ إذ كثُر من الملفوظات الرقمية لا

تُنتج معرفةً بل تُنتج موقفًا أو انتماءً أو تفاعلاً. وقد أرست سوزان هيرينغ إطارًا منهجيًا لتحليل الخطاب بوساطة الحاسوب يجعل من التزامنية وحدود المنصة والبنية الاجتماعية للتفاعل متغيراتٍ في التحليل، لا ظروفًا خارجيةً له.¹⁴ وهو إطارٌ يُنقذ الدراسة من الاكتفاء بوصف الملفوظ منعزلًا عن شروط ظهوره.

5. المستوى الأيقوني: دخولُ الرمز التصويري طرفًا في البنية لا زينةً عليها؛ فهو يؤدي وظائف كانت للتنعيم في الشفاهي وللتزقيم في الكتابي، ويحمل قيمةً تعديليةً تُغيّر جهة الملفوظ، فتقلب الخبر إلى تهكم والأمر إلى مزاح. وقد دعا كريستال إلى قيام «لسانيات إنترنت» تدرس هذه الظواهر بأدواتٍ وصفية صارمة بدل الاكتفاء بالانطباع؛¹⁵ وهي دعوةٌ لا تزال العربية متأخرةً في الاستجابة لها استجابةً مؤسّسة.

وفي هذا السياق تكتسب ملاحظة عبد الله الغدّامي قيمتها، حين رأى أنّ منصات كتويتير لم تُغيّر أدوات النشر فحسب، بل غيّرت موقع المثقف وسلطة الخطاب، فأنتهت احتكار النخبة للقول وأحلت محله سوقًا مفتوحةً للتأويل، بما لها وما عليها.¹⁶ فالتسارع هنا ليس ظاهرةً أسلوبيةً فحسب، بل إعادة توزيع للسلطة الرمزية داخل الحقل الثقافي.

5. الحالة الجزائرية: تعدّد لغويّ في زمنٍ متسارع

لا يستقيم الحديث عن الخطاب العربي الرقمي بمعزلٍ عن الوضع اللغوي المحلي، لأنّ التسارع لا يفعل في فراغ، بل يفعل في نسيجٍ لغويّ قائم فيزيده تعقيدًا. وقد نبّه عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنّ الدرس اللساني العربي لا يستقيم إن استعار مفاهيمه دون مراعاة خصوصية النظام العربي وواقع استعماله، وأنّ سلامة الوصف مشروطةً بسلامة تحديد موضوعه.¹⁷ وهي ملاحظة تتضاعف قيمتها في الجزائر حيث يتجاور في الملفوظ الواحد أكثر من مستوى ولسان.

فالمشهد الجزائري يقوم على تعدّد فعليّ تتقاسمه العربية الفصحى والدارجة والأمازيغية والفرنسية، مع حضورٍ متزايدٍ للإنجليزية في الفضاء الرقمي. وقد بيّنت خولة طالب الإبراهيمي أنّ هذا التعدّد ليس طارئًا ولا عرضيًا، بل هو معطى بنيويّ في الواقع اللغوي الجزائري، وأنّ مقارنته تقتضي وصفًا سوسiolسانيًا لا حكمًا معياريًا مسبقًا.¹⁸ ومقتضى ذلك أنّ ما يُسمّى «فوضى» في المنشور الجزائري الرقمي هو في كثيرٍ من مواضعه انتقالٌ لغويّ محسوبٌ تحكمه وظيفةٌ تخاطبية.

وقد بيّنت دراساتٌ حول اختيار اللغة في الفضاء الرقمي العربي أنّ المستعملين يوزعون ألسنتهم توزيعًا وظيفيًا: فصحيّ لما يُقصد به الرسمية والحجاج، ودارجة لما يُقصد به الحميمية والسخرية، ولسانٌ أجنبيّ لما يُقصد به التمتع المهني أو مخاطبة جمهورٍ أوسع.¹⁹ فالاختيار إذن مؤشّرٌ على وعيٍ تداوليٍّ لا على عجزٍ لغويٍّ، وإن كان لا يمنع وجود ضعفٍ حقيقيٍّ في التمكين من الفصحى ينبغي علاجه في مواضعه، وهنا يظهر البعد التخطيطي.

فمعالجة الوضع اللغوي لا تتحقق بالخطاب الحماسي ولا بالمنع، بل بسياسة لغوية تربوية تُبنى على معطيات ميدانية وتُترجم إلى برامج وأدوات عملية.²⁰ ومن جهة أخرى فإنّ الجدل حول العربية جدلٌ إيديولوجيٌّ بالضرورة لأنّ اللغة في السياق العربي محمّلةٌ برمزيةٍ هُويّةٍ تجعل كلّ نقاشٍ فيها نقاشاً في الذات الجماعية.²¹ ومن ثمّ فإنّ الباحث مطالبٌ بأن يفصل بين الوصف العلمي للظاهرة وبين الموقف القيّم منها، على أن يُعلن الثاني ولا يُخفيه في ثنايا الأول.

6. التلقّي الفوري وأزمة التأويل

إذا كان الإنتاج قد تسارع فإنّ التلقّي قد تسارع معه، بل ربّما أسرع منه. وقد لاحظ نيكولاس كار أنّ القراءة على الشاشة تُنهي نمطاً من الانتباه المتشظّي يقوم على المسح والقفز والانتقاء، ويُضعف القدرة على القراءة العميقة المتصلة التي رسّختها الكتابة المطبوعة عبر قرون.²² ولا يعني هذا حنيناً إلى ماضٍ وراقي، بل يعني الإقرار بأنّ لكلّ وسيطٍ نمطَ انتباهٍ يُنشئه، والنقد الأدبي معنيٌّ بهذا مباشرةً، فقد قامت مناهجُه الكبرى — من الشرح البلاغي القديم إلى الأسلوبية والسيمائيات — على افتراضٍ ضمنيٍّ مؤداه أنّ للقارئ وقتاً. وقد جعل رولان بارت من التائي شرطاً للذّة النصّية، إذ ميّز بين قراءةٍ تلتهم النصّ طلباً للحكاية وقراءةٍ تتمهّل عند التفاصيل فتصيب لذّةً من نوعٍ آخر.²³ فحين ينحسر التائي لا يموت النقد، لكنّه يُضطرّ إلى تغيير أدواته: من القراءة اللصيقة للنصّ الواحد إلى ما سمّاه فرانكو موريتي «القراءة البعيدة»، وهي قراءةٌ إحصائيةٌ لأنساقٍ نصّيةٍ واسعةٍ لا يستطيع فردٌ أن يقرأها نصّاً نصّاً.²⁴، على أنّ في المقابلة بين النمطين مخاطرٌ ينبغي الاحتراس منها. فالقراءة البعيدة تُحسن وصفَ الأنساق وتعجز عن إدراك الفرادة، والقراءة اللصيقة تُحسن إدراك الفرادة وتعجز عن رؤية النسق. ولعلّ ما ذهب إليه عبد الملك مرتاض من أنّ النصّ الأدبي بنيةٌ لا تُختزل في مستوى واحد، وأنّ مقاربتَه تقتضي تعدّداً في الأدوات بقدر تعدّد طبقاته،²⁵ يُسعف في صياغة موقفٍ متوازن: أن نجعل القراءة مرحلتين في إجراءٍ واحد، لا خصمين في معركةٍ منهجية.

وثمة أثرٌ آخر أخطر: التسارع يُنتج تلقياً حكماً يسبق الفهم. فالقارئ في زمن الخيط المتدفّق مطالبٌ بأن يُبدي موقفه قبل أن يستوعب، ويُثاب على السرعة لا على الدقّة، لأنّ بنية المنصّة تُكافئ التفاعل المبكّر. وهذا يقلب الترتيب الكلاسيكي للعملية التأويلية — فهمٌ ثمّ تفسيرٌ ثمّ حكم — فيجعل الحكم مقدّمةً، ثمّ تُستدعى القراءة لتبريره. وهو ما يُفسّر ظواهر باتت مألوفةً في نقاشاتنا الثقافية الرقمية: الاحتجاج بعنوانٍ لم يُقرأ ما تحته، والخصومة حول عبارةٍ اقتطعت من سياقها، وتحول الجدل العلمي إلى استقطابٍ أخلاقي.

7. نحو بلاغة رقمية عربية:

لا يكفي التشخيص والمطلوب في تقديرنا بناءً جهازٍ إجرائيٍّ يستثمر التراث البلاغي استثماراً وظيفياً لا

زخرفيًا، ويستوعب مكتسبات لسانيات الخطاب. ويمكن اقتراح أربعة مداخل:

❖ **المدخل الأول:** مقتضى الحال مقولة تحليلية للمنصّة. إذا كانت البلاغة العربية قد جعلت مطابقة الكلام لمقتضى الحال معيار الجودة، فإنّ «الحال» في التداول الرقمي مركّب من: طبيعة المنصّة وسقفها الكمي، وطبيعة الجمهور المفترض، وسرعة التداول المتوقعة، ودرجة التزامن. وتحليل ملفوظ رقمي دون تحديد هذه المكونات تحليل ناقص، شأنه شأن تحليل بيت من غير معرفة مناسبتة.

❖ **المدخل الثاني:** توسيع نظرية القرائن يُقترح توسيع مقولة «تضافر القرائن» لتشمل قرائن وسائطية: الصورة، الأيقونة، الوسم، الرابط، خيط التعليقات، وعدد التفاعلات نفسه بوصفه قرينة على التلقّي. ويكون معيار التماسك عندئذ لا اكتمال البنية اللفظية، بل كفاية مجموع القرائن لإنتاج معنى مستقر نسبيًا.

❖ **المدخل الثالث:** مبدأ الكثافة بديلاً عن مبدأ الطول. ينبغي فك الارتباط، في الحكم النقدي، بين القيمة والامتداد. فالنصّ الوجيز قد يكون بالغ الكثافة، والمطوّل قد يكون خاوياً. وهذا ما قرّره التراث نفسه حين جعل الإيجاز والإطناب مقاميين، وهو ما يُنقذ الدراسات الرقمية من احتقار موضوعها قبل دراسته.

❖ **المدخل الرابع:** مقولة صلاحية المعنى الزمنية. نقترح إدخال متغيّر جديد في تحليل الخطاب الرقمي هو مدّة صلاحية القرينة: أي المدّة التي يظلّ فيها الملفوظ قابلاً للتأويل قبل أن يفقد سياقه. وهو متغيّر لم تعرفه البلاغة القديمة لأنّ قرائنها كانت مستقرّة في اللسان، ويصلح أن يكون معياراً للأرشفة الرقمية: فما قصّرت مدّة صلاحيته وجب توثيق سياقه معه، وإلا صار بعد حين حروفاً بلا معنى.

ولهذا كلّ امتداد تعليمي لا ينبغي إغفاله. فقد ألحّ بشير إبرير على أنّ تعليمية النصوص لا تنفصل عن طبيعة النصّ المتداول وعن كفايات المتعلّم الفعلية،²⁶ ومقتضى ذلك أن يُدرّب طالب الأدب واللسانيات على التنقل الواعي بين نمطي القراءة: البطيئة المتأنّية التي تبني الكفاية التأويلية، والسريعة المسحّية التي تبني كفاية الفرز والتحقّق. أمّا الاكتفاء بتجريم الثانية فلا يُنتج قارئاً متأنّياً، بل يُنتج قارئاً سريعاً غير مدرّب.

ويبقى السؤال الأخطر أن تظلّ العربية مستهلكةً للأدوات الرقمية لا شريكةً في صناعتها، فتُصاغ خوارزميات المعالجة وقواعد البيانات وفق منطق ألسنة أخرى، ثمّ تُطالب العربية بالتكيّف معها.²⁷ وهذا هو موضع المسؤولية العلمية الحقيقي: أن ينتقل الباحث العربي من التعليق على التحوّل إلى المشاركة في هندسته.

خاتمة:

انتهى هذا البحث إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها في الآتي:

➤ أنّ التسارع مقولة نقدية صالحة لتحليل الخطاب، لا مجرد إطار اجتماعي خارجي؛ إذ يُعيد توزيع القيمة الجمالية ويُغيّر شروط الإنتاج والتلقّي معاً.

➤ وأن الاختزال في الخطاب الرقمي امتداداً لمبدأ الاقتصاد اللغوي الذي نظر له البلاغيون العرب، لكنّه يختلف عنه في مصدر القرينة: من قرينة داخل النظام مستقرّة إلى قرينة سياقية زائلة، وهو ما يجعل المعنى الرقمي كثيفاً في لحظته هشاً خارجها.

➤ وأن الحكم المعياري على لغة الفضاء الرقمي حكمٌ سابقٌ لأوانه ما لم يسبقه وصفٌ دقيقٌ لبنيتها ووظائفها، وأن ما يبدو فساداً في الظاهر قد يكون في كثيرٍ من مواضعه منابضةً وظيفيةً واعيةً، وإن لم يُلغِ ذلك وجودَ كلفةٍ حقيقيةٍ تستوجب تخطيطاً لغوياً.

➤ وأن التراث البلاغي العربي يملك من العُدّة المفهومية — مقتضى الحال، تضافر القرائن، شجاعة العربية، نظرية النظم — ما يُسعف في وصف هذه الظواهر، شريطة أن يُؤخذ بوصفه منهجاً يُختبر لا بوصفه سلفاً يُستشهد به للزينة.

وتبقى آفاقٌ مفتوحةٌ أمام البحث: بناءً مدوناتٍ رقميةٍ عربيةٍ موسومةٍ تُتيح دراسةً كميّةً للاختزال، وتطويرُ معاييرٍ أرشفةٍ تحفظ السياق مع الملفوظ، ووضعُ برامجٍ تكوينٍ جامعيٍّ تجمع بين التمكين اللغوي والكفاية الرقمية. وهي أعمالٌ جماعيةٌ بطبيعتها، لا يقوى عليها باحثٌ منفرد؛ وذلك، في ذاته، درسٌ من دروس زمن التسارع.

هوامش وإحالات المقال

1. Hartmut Rosa, Social Acceleration: A New Theory of Modernity, trans. Jonathan Trejo-Mathys, New York: Columbia University Press, 2013, pp. 71-80.
2. Paul Virilio, Vitesse et politique: essai de dromologie, Paris: Galilee, 1977, p. 46; et du meme auteur: L'esthetique de la disparition, Paris: Galilee, 1980.
3. والتر ج. أونج، الشفاهية والكتابية، ترجمة حسن البنا عز الدين، سلسلة عالم المعرفة 182، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1994، ص 122 وما بعدها.
4. Marshall McLuhan, Understanding Media: The Extensions of Man, London and New York: Routledge, 2001 (1st ed. 1964), p. 7.
5. نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة 265، الكويت، 2001، ص 45.
6. سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط: مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005، ص 65.
7. الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 7، 1998، ج 1، ص 83.
8. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1952، ص 189.
9. السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 2، 1987، ص 168.
10. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 3، 1992، ص 146.
11. ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 2، باب في شجاعة العربية، ص 360.
12. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة: عالم الكتب، ط 5، 2006، ص 191 وما بعدها.
13. David Crystal, Language and the Internet, 2nd ed., Cambridge: Cambridge University Press, 2006, pp. 17-21.

14. Susan C. Herring, Computer-Mediated Discourse Analysis: An Approach to Researching Online Behavior, in: S. A. Barab, R. Kling and J. H. Gray (eds.), Designing for Virtual Communities in the Service of Learning, Cambridge: Cambridge University Press, 2004, pp. 338-376.
 15. David Crystal, Internet Linguistics: A Student Guide, London and New York: Routledge, 2011, p. 2.
 16. عبد الله الغدّامي، ثقافة تويتر: حرية التعبير أم مسؤولية التعبير، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2016، ص 33.
 17. عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر: موفم للنشر، 2007، ج 1، ص 31.
 18. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، الجزائر: دار القصة للنشر، 2000، ص 25.
 19. Mark Warschauer, Ghada R. El Said and Ayman Zohry, Language Choice Online: Globalization and Identity in Egypt, Journal of Computer-Mediated Communication, vol. 7, no. 4, 2002.
 20. صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، الجزائر: دار هومة، 2000، ص 112.
 21. Yasir Suleiman, Arabic in the Fray: Language Ideology and Cultural Politics, Edinburgh: Edinburgh University Press, 2013, pp. 1-24.
 22. Nicholas Carr, The Shallows: What the Internet Is Doing to Our Brains, New York: W. W. Norton, 2010, p. 116.
 23. رولان بارت، لذة النص، ترجمة منذر عياشي، حلب: مركز الإنماء الحضاري، 1992، ص 24.
 24. Franco Moretti, Distant Reading, London and New York: Verso, 2013, pp. 43-62.
 25. عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر، 2010، ص 88.
 26. بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، إربد: عالم الكتب الحديث، 2007، ص 57.
 27. نبيل علي، المرجع السابق، ص 312.
- قائمة المصادر والمراجع**
- أولاً: المصادر والمراجع العربية**
1. ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
 2. أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1952.
 3. إبرير، بشير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، إربد: عالم الكتب الحديث، 2007.
 4. بلعيد، صالح، دروس في اللسانيات التطبيقية، الجزائر: دار هومة، 2000.
 5. الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 7، 1998.
 6. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط 3، 1992.
 7. الحاج صالح، عبد الرحمن، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزائر: موفم للنشر، 2007.
 8. حسّان، تَمَام، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة: عالم الكتب، ط 5، 2006.
 9. السكاكي، مفتاح العلوم، ضبط نعيم زرزور، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 2، 1987.
 10. طالب الإبراهيمي، خولة، مبادئ في اللسانيات، الجزائر: دار القصة للنشر، 2000.
 11. الغدّامي، عبد الله، ثقافة تويتر: حرية التعبير أم مسؤولية التعبير، بيروت والدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2016.
 12. علي، نبيل، الثقافة العربية وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة 265، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2001.
 13. مرتاض، عبد الملك، نظرية النص الأدبي، الجزائر: دار هومة، 2010.
 14. يقطين، سعيد، من النص إلى النص المترابط، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005.

ثانيًا: المراجع المترجمة

15. أونج، والتر ج.، الشفاهية والكتابية، ترجمة حسن البنّا عز الدين، سلسلة عالم المعرفة 182، الكويت، 1994.

16. بارت، رولان، لذّة النص، ترجمة منذر عياشي، حلب: مركز الإنماء الحضاري، 1992.

ثالثًا: المراجع الأجنبية

17. Carr, Nicholas, The Shallows: What the Internet Is Doing to Our Brains, New York: W. W. Norton, 2010.

18. Crystal, David, Language and the Internet, 2nd ed., Cambridge: Cambridge University Press, 2006.

19. Crystal, David, Internet Linguistics: A Student Guide, London and New York: Routledge, 2011.

20. Herring, Susan C., Computer-Mediated Discourse Analysis, in: Designing for Virtual Communities in the Service of Learning, Cambridge: Cambridge University Press, 2004.

21. McLuhan, Marshall, Understanding Media: The Extensions of Man, London and New York: Routledge, 2001.

22. Moretti, Franco, Distant Reading, London and New York: Verso, 2013.

23. Rosa, Hartmut, Social Acceleration: A New Theory of Modernity, New York: Columbia University Press, 2013.

24. Suleiman, Yasir, Arabic in the Fray: Language Ideology and Cultural Politics, Edinburgh: Edinburgh University Press, 2013.

25. Virilio, Paul, Vitesse et politique: essai de dromologie, Paris: Galilee, 1977.

26. Warschauer, M., El Said, G. R. and Zohry, A., Language Choice Online: Globalization and Identity in Egypt, Journal of Computer-Mediated Communication, 7(4), 2002.